بسم الله الرحمن الرحيم

سلُّ الحسام الهندي على منكر خروج المهدي

الحمد لله الهادي إلى الطريق المستقيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وآخرهم المهدي المنتظر إمام العارفين، وذلك لما جاء به الوعد المصون في الذكر المكنون ﴿ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(الأنبياء: من الآية105).

أما بعد،،،

فقد كثُرَ في هذا الزمان إنكارُ كثيرٍ من المسائل العقائدية وغير العقائدية، وذلك بسبب بُعد الناس عن تعاليم دينهم وضعف الثقافة الإسلامية عند كثيرٍ من أهل الفكر، لاسيما ممن يسمُّون بالمثقفين، تحت عدة شعارات وتسميات واعتبارات لا طائل عند الكثيرين من ذكرها، ومن أخطر هذه المسائل إنكار حياة سيدنا عيسى عليه السلام الآن، وأنَّه حيٌّ موجود كما صرح به القرآن وتواترت طرقه من السنة المطهرة، وكذلك إنكار خروج المهدي المنتظر عليه السلام وهو موضوع هذه الرسالة التي سأردُّ فيها شبهة من ينكرون خروجه متذرعين بحجة أن الشيعة هم الذين يقولون بذلك والسبب في هذا الإنكار هو الخلاف القائم بين أهل السنة والشيعة، وهذا خطأ كبير وقع فيه كثيرٌ من الناس، إذ لا علاقة بين ما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والشيعة في المسائل الأصولية والفرعية وخروج المهدي عليه السلام الذي يقول به أكابرُ أهل السنة من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة، وهو الحق الذي لا مِرْيةَ فيه؛ لأن المهدي الذي تقول به الشيعة هو غير المهدي الذي نقول به نحن معاشر أهل السنة والجماعة جملةً وتفصيلاً، ومن هنا حصل الإنكار والالتباس لدى كثير من الناس، ومنهم من ينتسبون إلى أهل العلم وهو أمرٌ محزنٌ حقاً، وعلى رغم هذا لا يجوز لأيٍّ كان أن ينكر شيئاً قبل أن يتثبت منه، عملاً بالقاعدة التي تقول "عدم معرفتك بالشيء لا يدل على عدم وجوده"، ولهذا قيل أنَّ "لا أدري" نصفُ العلم، على أنَّ المهدي الذي تقول به الشيعة مختَلَفٌ فيه حتى فيما بينهم، فمنهم من يزعمُ أنه سيدنا

محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى عليهم السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمدُ بن علي بن الحسين – المعروفُ بالباقر- عليهم السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا جعفر الصادق عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمد بن الحنفية عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وكلٌ يزعم أن مهديه مختبئ الآن، فمنهم من يقول أنه في "سُرَّ منْ رأى" – أي سامراء من أرض العراق- ومنهم من يقول أنه بجبل حاجز من أرض نجد، ومنهم من يقول أنه بجبل رضوى وهم قد أفضوا إلى ربهم بإجماع علماء التاريخ، زيادة على أن كلَّ فريقٍ منهم يزعم أن مهديهُ سيخرج هذه السنة والحال كما ترى، فالزمان الذي مضى والواقع الذي نعيشه والمستقبل الذي سيأتي لا يشهد لهم بذلك ولا بوجهٍ من الوجوه وهو من أقوى الأدلة عندنا وعندهم، على أن مهدينا الذي نقول به نحن معاشر أهل السنة سيخرج يقيناً، وسيكون خروجه بالطريقة المعهودة التي أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكون خروجه – أي ظهوره- من علامات الساعة التي تقبل معها التوبة، وهو رجلٌ سوف يولد كبقية الرجال، ثم يمر في كل الأطوار التي يمر بها الناس عادةً من الطفولة إلى سنِّ التمييز إلى البلوغ وهكذا في كل الأطوار، إلا أنَّ الله يتولى حفظه ورعايته بأن يسخر له أفضل أهل الأرض علماً وعملاً فيقومون على شؤونه وتربيته، وذلك من قبيل تعاطي الأسباب التي أُمرنا بها حتى يأتي أمر الله، وبعد مروره بتلك المراحل يكون جزماً من الأولياء الملهَمين العالِمين العامِلين، ينشر العدلَ ويقاوم الظلمَ وأهلَه كما ذكر علماؤنا الأعلام لا كما ذكر المغالون والمقصرون والمدعون والمستهزئون، ولقد تكفل بالرَّدِّ عليهم جهابذة أهل العلم كأبي منصور البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وأدحض حججَهم بأدلة قاطعة لم يدَع فيها مجالاً لا للَجَّاجٍ ولا لمحجاج، والشهرستاني في كتابه (المِلل والنِّحَل)، والإسفراييني في كتابه (التبصير في الدين) وغيرهم كثير، وفي ذكر هؤلاء مقنع ومستقنع.

أمَّا مهدينا الذي نقول به عليه السلام فقد ألَّف فيه الكثير من علماء أهل السنة، ومن هذه التآليف ما ذكر فيها سيدنا المهدي عليه السلام مع بقية ما يكون من علامات الساعة مثل (الإشاعة لأشراط الساعة) للإمام البرزنجي الحسيني الشافعي، و(الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة) لمِلِك بهوبال المحدِّث أبي الطيب محمد صديق بن حسن الحسيني القنوجي البخاري، وهو اختصار للكتاب السابق، وهناك من الكتب والرسائل ما انفرد بذكره مثل: (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) لابن حجر الهيتمي، و(عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر) ليوسف بن يحيى السلمي، و(العرف الوردي في أخبار المهدي) و(الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف) و(تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة) ثلاثتهم للإمام السيوطي الشافعي، و(البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) لعلي بن حسام بن عبد الملك المتقي الهندي، و(تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان) لابن كمال باشا الحنفي، و(المشرب الوردي في مذهب المهدي) لملا علي القاري الحنفي، و(فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر) لمرعي بن يوسف الحنبلي وغيرهم كثير، هذا زيادة على ما هو موجود في معاجم الأحاديث من كتب أهل السنة، وقد أفردت لهذه الأحاديث كتب مستقلة، ومن أفضَلِ ما اطلعَتْ عليه عيناي وشُنِّفتْ بسماعه أذناي كتابان: أحدهما لشيخ شيوخنا الحافظ المجتهد الناقد سيدي أحمد بن الصديق الغماري الحسني الطنجي المغربي رحمه الله تعالى وسماه (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون)، والثاني لشقيقه العلامة الأصولي النظار سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى سماه (المهدي المنتظر)، وقد اختصر ما قاله السابقون فأجاد وهذَّب فأفاد وعن الحق ما حاد، ومنه نقلت ثم رتبت وهذبت، هذا مع العلم بأن مسألة المهدي عليه السلام مقررةٌ في كل كتب أهل السنة وخاصة في كتب العقائد منها، وبالتحديد عند قولهم بوجوب الإيمان بكل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها أن الساعة آتية لا ريب فيها، ومن علاماتها خروج المهدي المنتظر عليه السلام، وخروج الأعور

الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه وعلى رسولنا السلام، إلى آخر العلامات المعروفة، كما أن الأحاديث الواردة في خروج مهدينا عليه السلام كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً يصعب حصرها في هذه العجالة، إلا أني سأقتصر على ذكر أهم مراجع أهل السنة التي ذُكرت فيها تلك الأحاديث، ثم آتي بأسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عليه السلام من غير ذكر متونها منعاً للتطويل، وأُردف ذلك ببعض ألفاظها مع الإحالة إلى مكانها الأصلي لمن أراد الرجوع إليها، فمن الكتب: صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الدارمي، ومعاجم الطبراني وغيرها، وقد تواتر ذكر المهدي عليه السلام من حديث أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأم سلمة رضي الله عنها، وثوبان مولى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعثمان بن عفان، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن ماجد الصدفي، وأبي أيوب الأنصاري، وقرة بن إياس المزني، وعبد الله بن عباس، وأم حبيبة رضي الله عنها، وأبي أمامة الباهلي، وعبد الله بن عمرو، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد المطلب عليه السلام، والحسين بن علي عليهما السلام، وتميم الداري، وعائشة رضي الله عنها، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وعلي المكي الهلالي، وعمران بن حصين، وعمرو بن مرة الجهني، وعوف بن مالك، وأبي الطفيل، ورجل من الصحابة لم يسمَّ وجهلُه لا يضر؛ لأن الصحابة كلُّهم عدولٌ في النقل، وقد ذكرها شيخ شيوخنا الحافظ سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، والحافظ أحمد بن الصديق الغماري في كتابه (الإلمام مما تواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام)، وشيخنا المحدِّث الناقد الأصولي سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري في كتابه (إتحاف ذوي

الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة)، وقد جاء الحديث أيضاً عن كثير من التابعين وأكثرها مراسيل صحيحة ولكن ليس هذا محلُّ ذكرها.

ومن ألفاظ هذه الأحاديث التي سنقتصر عليها ما رواه أبو داود من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ ﴾، وجاء أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما أخرجه الترمذي وغيره بلفظ ﴿ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئ اسْمُهُ اسْمِي ﴾، وأخرج الحافظ أبو عمرو الداني في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي تقاتل عن الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي، فيقال له: تقدم يا نبي الله فصلِّ لنا، فيقول: إن هذه الأمة أمينٌ بعضهم على بعض لكرامتهم على الله عزَّ وجلَّ ﴾، وجاء في معناه عند البخاري ومسلم.

والخلاصة أنه بعد الذي بيَّنَّاه مما جاء به صاحب الشرع فيما يتعلق بخروج المهدي عليه السلام لم يعد هناك عبرة بآراء الرجال؛ لأن آراءهم تقبل الخطأ والصواب، في حين أن حكم الشرع لا يقبل إلا الصواب، فتكون العبرة بما ثبت عن صاحب الشرع؛ لأن القاعدة الأصولية الحديثية تقول "إذا ثبت الخبر ارتفع النظر"، وأي ثبوتٍ يعدِل ثبوتَ الحديث المتواتر، أما العلماء فهم متبعون للشرع، وهم في ذلك متفاوتون بالعلم والاطلاع والتقوى، ومَنْ حَفِظَ منهم حجة على مَنْ لم يَحْفَظ، وكفى بما نقلناه حجة، وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه: "كلكم رادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم"؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، ولأنه مُخبَّرٌ ومخبِرٌ عن الله عزَّ وجلَّ، وإن إنكار خروج المهديِّ عليه السلام ضلال وابتداع في الدين ويُخشى على صاحبه

ما يُخشى، وقد قال العلامة محمد بن العربي الفاسي في كتابه (مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد):

وما مِنَ الأشراطِ قدْ صَحَّ الخبَرْ — بِهِ عن النبيِّ حقٌ يُنتَظَرْ
وَخبَرُ المهديِّ أيضاً ورَدَا — ذا كثرةٍ في نقلِه فاعتَضَدَا

وقال السفاريني في عقيدته المسماة بـ (الدرَّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

وما أتى فِي النصِّ منْ أشراط — فكُلُّهُ حقٌ بلا شطَاط
منها الإمامُ الخاتمُ الفصيحُ — محمدُ المهديُّ والمسيحُ

هذا ما تم ضبطه وتحريره في هذه الرسالة على يد خادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام المالكي، معترفاً بالعجز والتقصير راجياً شفاعة البشير النذير، لإظهار الحق بلا خلل ولا تقصير، وفي الذي نقلناه كفاية لذوي اللبِّ بعد الضبط والعناية، والله الموفق لا ربَّ غيرُه، مصلياً على سيد السادات عدد الأحياء والأموات والجمادات، ما بقيت الأرضُ والسماوات والجنات المعروشات، صلاةً نرجو بها القَبول وننجو بها وأحبتنا ومن علمَّنا من أهوال القبور والبعث والموقف والنشور.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

29 ربيع الثاني 1430 هجري الموافق 25 مارس 2009 رومي